(ان هذان لساحران بين اللهجة العربية والتخطئة الكتابية)

الدكتور المدرس سلام حسين علوان
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الاساسية
قسم اللغة العربية

إنّ تعدد آراء النحويين والدارسين في الظاهرة النحوية كان له الأثر الكبير في إغناء وإثراء تراثنا النحوي بالمؤلفات والدراسات التي ما انفكت تمد الباحثين بما يخدمهم وينمي أفكارهم .وقد كان لهذه الآية الكريمة وما ورد فيها من قراءات النصيب من ذلك .والملفت للنظر هنا أنّا وجدنا بعض الآراء تقدح في عمل الكتّاب الذين خصّهم النبي (صلى الله عليه وسلم) لكتابة الوحي مدّعين أنّ هناك خطأ من الكتّاب وانّ هذا الخطأ ستقيمه العرب بألسنتها ،والأكثر غرابة في الأمر أنّ هذا الرأي نسب إلى زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم) والى خليفته عثمان بن عفان(رضي الله عنه) [١]، والى جانب هذا وجدنا بعضهم الآخر يخرج القراءة القرآنية على وفق كلام العرب وما نطقوا به كي لا تكون هناك حاجة إلى تأويل ما لا يقبله العقل أو تنفر منه النفوس ،لذا تعددت الآراء في تخريج الآية وقراءاتها وهي : إن الآية جاءت على جعل (إن)بمعنى (نعم)، أو إنها على جعل (إن) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلا) أي ما هذان إلا ساحران ، أو إنها جاءت على لغة بلحارث بن كعب في جعل الألف مطلقا للمثنى في الرفع والنصب والجر ، ومنهم من قال كما ذكرنا إن في المصحف لَحْناً وستقيمه العرب بألسنتها، ومنهم من قرأها «إن هذين لساحران» على الجهة الظاهرة المكشوفة من دون حاجة إلى تقدير ،وغيرها من الوجوه التي ذكرت مفصّلة في هذا البحث والذي لم يقتصر على الكتب النحوية أو اللغوية أو المعاجم أو كتب التفسير أو كتب علوم القران ، بل شمل كل ذلك لان الحاجة كانت داعية لذلك ،ومن الله التوفيق.

لم تكن المعاجم العربية ببعيدة عن تناول هذه الآية وبيان الرأي فيها فهذا الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)تناولها في كلامه على لغات العرب في (انّ) بين التخفيف

[١]) ينظر:جامع البيان في تأويل أي القران للطبري ٣٢٨/١٨ و معالم التنزيل للبغوي ٢٨٠/٥ و كنز العمال في سنن الاقوال والافعال لعلي المتفي ٢٤٨/٢ و المواقف للايجي ٣٨٠/٣

والتثقيل فقال:(وأمّا إنّ هذان لساحران فَمَنْ خفّف فهو بلغة الذين يخفِّفون ويرفعون، فذلك وَجْهٌ، ومنهم مَنْ يجعل اللاّم في موضع إلاّ، ويجعل إنْ جَحْداً، على تفسير: ما هذان إلاّ ساحرانِ، وقال الشّاعر:

أَمْسَى أبانُ ذليلاً بَعْدَ عزّته وإن أبانُ لَمِنْ أَعْلاجِ سُوراءِ

ويقال: تكون إنّ في مَوْضع أَجَلْ فيكسِرونَ ويثقلون، فإذا وقفوا في هذا المعنى قالوا: إنّهْ.. تكون الهاء صلةً في الوقوف، وتَسْقط الهاء إذا صرفوا... وبلغنا عن عبدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْر أن أعرابيّاً أتاه فسأله فحرمه، فقال: لعن اللَّه ناقةً حملتني إليك، فقال ابنُ الزُّبير: إنّ وراكِبَها، أي: أَجَلْ.

فأمّا تميم فإنّهم يَجْعلونَ أَلِفَ كلّ أنّ وأَنْ، منصوبة، من المُثَقَّل والمُخَفَّف: عيناً، كقولك: أريد عَنْ أُكَلِّمك، وبلغني عنّك مقيم.)[1]

وقال ايضا: (وقوله: {إِنْ هَاذَانِ لَسَاحِرَانِ...} قد اختلف فيه القراء فقال بعضهم: هو لحن ولكنا نمضى عليه لئلاّ نخالف الكتاب. حدَّثنا أبو العباس قال حدثنا محمد قال حدثنا الفراء قال حدثنى أبو معاوية الضرير عَنْ هاشم بن عُروة بن الزُبَير عن أَبيه عن عَائِشة أَنها سُئِلت عن قوله فى النساء {لَكِنِ الراسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهمْ .... والمُقِيمِينَ الصلاةَ} وعن قوله فى المائدة {إِنَ الذِينَ آمَنوا والّذِين هَادُوا والصَّابِئُونَ} وعن قوله {إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} فقالت: يا بن أَخى هذا كان خطأ من الكاتب. وقرأَ أَبو عمرو {إِنَّ هَذَيْنِ لَساحِرَان} واحتجّ أَنه بلغه عن بعض أَصحاب محمد صَلى الله عَليه وسَلم أنه قال: إن فى المصحف لَحْناً وستقيمه العرب.)[2]

فهو كما نرى قد سرد الأوجه المحتملة في الآية والقراءات الواردة فيها ولكنه لم يرجح رأيا على آخر . وهو أمر سنجده في كثير من المفسرين والدارسين الذين تناولوا الآية الكريمة بالدرس مما سيأتي ذكرهم في ثنايا البحث.

جاء في مجاز القران لأبي عبيدة (ت ٢٠٨هـ) :(" إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرانِ " قال أبو عمرو وعيسى ويونس " إنّ هذين لساحران " في اللفظ وكتب " هذان " كما يزيدون وينقصون في الكتاب واللفظ صواب ، وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون

[1]) العين ٢/٢٠٥ و ينظر: المقتضب ٢/ ٣٦٤
[2]) العين ٢/٢٠٥ و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي المتقي ٢/٢٤٨ و المواقف للايجي ٣/٣٨٠

الاثنين في موضع الجر والنصب ، قال بشر بن هلال " إنَّ " بمعنى الابتداء والإيجاب ، ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما تنصب الاسم فكان مجازه " إنّ هذان لساحران " مجاز كلامين ، مخرجه : إنه أي نعم ، ثم قلت : هذان ساحران ... وقرأها قومٌ على تخفيف نون " إن " وإسكانها وهو يجوز لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فضلة ، قال[١] :

أُم الحُلَيس لَعجوزٌ شَهْرَبَهْ

وزعم قومٌ أنه لا يجوز لأنه إذا خفف نون " إن " فلا بد له من أن يدخل إلا فيقول : إن هذان إلا ساحران.)[٢]

وقال الاخفش (ت ٢١٧هـ):({إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} خفيفة في معنى ثقيلة. وهي لغة لقوم يرفعون ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى "ما" ونقرؤها ثقيلة وهي لغة

لبني الحارث بن كعب.)[٣]

وذكر الطبري (ت٣١٠هـ) الآية وكان يرد وينقل عن المفسرين وأهل علوم القران فكانت له في ذلك آراء طيبة منها انه قال:(وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله(إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار(إنَّ هَذَانِ) بتشديد إن وبالألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك، وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: "إن" خفيفة في معنى ثقيلة، وهي لغة لقوم يرفعون بها، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما، وقال بعض نحويي الكوفة: ذلك على وجهين:

أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف، وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث بن كعب[٤] :

فأطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ وَلَوْ رَأى مَساغا لِناباه الشُّجاعُ لصَمما

[١]) لرؤبة بن العجاج او عنترة بن عروس ينظر: شرح التسهيل ٣٠/٢ و اللسان مادة (شهرب) و شرح ابن عقيل ٣٣٦/١

[٢]) مجاز القران ٧٦/١

[٣]) معاني القران ٥/٣

[٤]) البيت لعمرو بن شأس وقيل لجرير بن عبد المسيح ينظر: الشعر والشعراء ٣١/١ و الحماسة البصرية ٤١/١ و أمالي القالي ٢١٩/١

... الوجه الثاني : أنَّ « إنَّ » بمعنى « نَعَمْ » فهي حرفُ جوابٍ ، ولا محلَّ لها حينئذ ، وعلى هذا فما بعدها مرفوعُ المحلِّ على الابتداء ، وما بعده معطوفٌ عليه بالرفعِ ... وكونُها بمعنى « نَعَمْ » قولٌ مرجوحٌ ، قال به بعضُ النحْويِّين ، وجعل من ذلك قوله تعالى : { إِنْ هذان لَسَاحِرَانِ } [طه : ٦٣] في قراءةٍ من قرأهُ بالألف... ، وجعل منه أيضاً قول عبد الله بْنِ الزُّبَيْر : « إنَّ وصاحبهَا » جواباً لمنْ قال له : « لَعَنَ الله ناقَةً حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ » ، أي : نَعَمْ وصاحِبهَا ، وجعل منه قول الآخر :

بَكَرَ الغَوَانِي فِي الشَّبَا ... بِ يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاَ ... كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

أي : نَعَمْ ، والهاءُ للسكْتِ ، وأجيبَ : بأنَّ الاسم والخبر محذوفان في قول ابن الزُّبَيْرِ ، وبقي المعطوفُ على الاسمِ دليلاً عليه ، والتقديرُ : إنَّها وصاحِبُهَا ملعونَانِ ، وتقدير البيتِ : إنَّهُ كذلِكَ ، وعلى تقدير أَنْ تكون بمعنى « نَعَمْ » ، فلا يَصِحُّ هنا جعلُهَا بمعناها؛ لأنها لم يتقدَّمْها شيءٌ تكونُ جواباً له ، و « نَعَمْ » لا تقعُ ابتداءَ كلامٍ ، إنما تقع جواباً لسؤالٍ ، فتكونُ تصديقاً له.)[١]

وعرض ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (سر صناعة الإعراب) المسالة بشيء من التفصيل وناقشها نقاشا علميا حيث قال:(وأخبرنا أبو علي أن أبا إسحاق ذهب في قوله تعالى (إن هذان لساحران) إلى أن إن بمعنى نعم وهذان مرفوع بالابتداء وأن اللام في لساحران داخلة في موضعها على غير ضرورة وأن تقديره نعم هذان لهما ساحران ، وحكى عن أبي إسحاق أنه قال هذا الذي عندي فيه والله أعلم وكنت عرضته على عالمنا محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحاق فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه .[٢]

واعلم أن هذا الذي رواه أبو إسحاق في هذه المسألة مدخول غير صحيح وأنا أذكره لتقف منه على ما في قوله، ووجه الخطأ فيه أن هما المحذوفة التي قدرها مرفوعة بالابتداء لم تحذف إلا بعد العلم بها والمعرفة بموضعها وكذلك كل محذوف لا يحذف إلا مع العلم به ولولا ذلك لكان في حذفه مع الجهل بمكانه ضرب من تكليف علم الغيب للمخاطب وإذا كان معروفا فلقد استغني بمعرفته عن تأكيده باللام ألا ترى أنه يقبح أن تأتي بالمؤكد وتترك

[١]) جامع البيان ١٨ /٣٢٨ و يبظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٥١ و إعراب القران للزجاج ٤٦/١ والخصائص لابن جني ٦٥/٣

[٢]) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني للشاطبي ٢/ ٢٨٤ – ٢٨٧ و شرح الشاطبية لأبي شامة ٢٨٢/٢

المؤكد فلا تأتي به ألا ترى أن التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب والحذف من مواضع الاكتفاء والاختصار فهما إذن كما ذكرت لك ضدان لا يجوز أن يشتمل عليهما عقد كلام ، ويزيد ذلك وضوحا امتناع أصحابنا من تأكيد المضمر المحذوف العائد على المبتدأ في نحو زيد ضربت في من أجازه فلا يجيزون زيد ضربت نفسه على أن تجعل النفس توكيدا للهاء المرادة في ضربته لأن الحذف لا يكون إلا بعد التحقيق والعلم وإذا كان ذلك كذلك فقد استغني عن تأكيده ويؤكد عندك ما ذكرت لك أن أبا عثمان وغيره من النحويين حملوا قول الشاعر:

أم الحليس لعجوز شهربه

على أن الشاعر أدخل اللام على الخبر ضرورة ولو كان ما ذهب إليه أبو إسحاق وجها جائزا لما عدل عنه النحويون ولا حملوا الكلام على الاضطرار إذا وجدوا له وجها ظاهرا قويا وحذف المبتدأ وإن كان شائعا في مواضع كثيرة من كلامهم فإنه إذا نقل عن أول الكلام قبح حذفه ألا ترى إلى ضعف قراءة من قرأ(تماما على الذي أحسن)[١] قالوا وقبحه أنه أراد على الذي هو أحسن فحذف المبتدأ في موضع الإيضاح والبيان لأن الصلة لذلك وقعت في الكلام وإذا كان ذلك موضع إكثار وإيضاح فغير لائق به الحذف والاختصار.)[٢]

وارتأى القيسي (ت٤٣٧هـ) مذهب الكوفيين القائل إنّ (انّ) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاّ) فقال وهو يذكر الآراء في الآية :(قوله إن هذان لساحران من رفع هذان حمله على لغة لبني الحارث بن كعب يأتون بالمثنى بالألف على كل حال قال بعضهم [٣]...

تزود منا بين أذناه طعنة دعته هابي التراب عقيم

وقيل إن بمعنى نعم

وفيه بعد لدخول اللام في الخبر وذلك لا يكون الا في شعر كقوله

أم الحليس لعجوز شهر به ترضى من اللحم بعظم الرقبه

وكان وجه الكلام لأم الحليس عجوز، وكذلك كان وجه الكلام في الآية إن حملت إن على معنى نعم إن لهذان ساحران كما تقول نعم لهذان ساحران ونعم لمحمد رسول الله وفي تأخر اللام مع لفظ ان بعض القوة على نعم وقيل إن المبهم لما لم يظهر فيه إعراب في الواحد ولا

[١])الأنعام /١٥٤ و ينظر: خزانة الأدب ١٠ /٣٤٧ ـ ٣٤٩

[٢]) سر صناعة الإعراب ١/٣٨٠ـ ٣٨٢

[٣]) ينسب البيت لهوبر الحارثي .ينظر: لسان العرب مادة (هبي) ومقاييس اللغة ٣١/٦

في الجمع جرت التثنية على ذلك فأتي بالألف على كل حال وقيل الهاء مضمرة مع إن وتقديره انه هذان لساحران كما تقول إنه زيد منطلق ،

وهو قول حسن لولا أن دخول اللام في الخبر يبعده فأما من خفف إن فهي قراءة حسنة لأنه أصلح الإعراب ولم يخالف الخط لكن دخول اللام في الخبر يعترضه على مذهب سيبويه لأنه يقدر أنها المخففة من الثقيلة ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر لنقص بنائها فرجع ما بعدها الى أصله واللام لا تدخل في خبر ابتداء أتى على أصلة إلا في شعر على ما ذكرنا وأما على مذهب الكوفيين فهو من أحسن شيء لأنهم يقدرون إن الخفيفة بمعنى ما واللام بمعنى إلا فتقدير الكلام ما هذان إلا ساحران فلا خلل في هذا التقدير إلا ما ادعوه أن اللام تأتي بمعنى إلا .)[1]

وجاء في الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ): (قرأ أبو عمرو : «إن هذين لساحران» على الجهة الظاهرة المكشوفة . وابن كثير وحفص «إنْ هذان لساحران» على قولك : إنْ زيد لمنطلق . واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة . وقرأ أبيّ «إن ذان إلا ساحران» وقرأ ابن مسعود «أن هذان ساحران» بفتح أن وبغير لام ، بدل من النجوى . وقيل في القراءة المشهورة { إنْ هذان لساحران } هي لغة بلحرث بن كعب ، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف ، كعصا وسعدى ، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب . وقال بعضهم : { إنْ } بمعنى نعم . و { لسا حرانِ } خبر مبتدأ محذوف ، واللام داخلة على الجملة تقديره : لهما ساحران . وقد أعجب به أبوسحاق.)[2]

وأما الرازي (ت٦٠٦هـ) فأطنب في شرح الآية وذكر فيها مسائل وقراءات وتناولها من عدة وجوه ، فذكر رواية ان هذا خطا من الكاتب ثم زاد عليها من اوجه القراءات فقال (وثانيها : قرأ ابن كثير : (إن هذان) بتخفيف إن وتشديد نون هذان . وثالثها : قرأ حفص عن عاصم إن هذان بتخفيف النونين . ورابعها : قرأ عبد الله بن مسعود : { وَأَسَرُّواْ النجوى أنْ هاذان } بفتح الألف وجزم نونه (و) ساحران بغير لام . وخامسها : عن الأخفش : { إنْ هاذان لساحران } خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة قوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . وسادسها : روى عن أبي بن كعب : (ما هذان إلا ساحران)

[1]) مشكل إعراب القران ٢/ ٤٦٦ـ ٤٦٧
[2]) الكشاف ١٥٣/٤ وينظر :معالم التنزيل ٢٨٠/٥ و المحرر الوجيز لابن عطية ٤٠٧/٤

وروي عنه أيضاً : (إن هذان لساحران) وعن الخليل مثل ذلك ، وعن أبي أيضاً : (إن ذان لساحران)،

فهذه هي القراءات الشاذة المذكورة في هذه الآية ، واعلم أن المحققين قالوا : هذه القراءات لا يجوز تصحيحها لأنها منقولة بطريق الآحاد ، والقرآن يجب أن يكون منقولاً بالتواتر إذ لو جوزنا إثبات زيادة في القرآن بطريق الآحاد لما أمكننا القطع بأن هذا الذي هو عندنا كل القرآن لأنه لما جاز في هذه القراءات أنها مع كونها من القرآن ما نقلت بالتواتر جاز في غيرها ذلك ، فثبت أن تجويز كون هذه القراءات من القرآن يطرق جواز الزيادة والنقصان والتغيير إلى القرآن وذلك يخرج القرآن عن كونه حجة ولما كان ذلك باطلاً فكذلك ما أدى إليه ، وأما الطعن في القراءة المشهورة فهو أسوأ مما تقدم من وجوه : أحدها : أنه لما كان نقل هذه القراءة في الشهرة كنقل جميع القرآن فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القرآن وذلك يفضي إلى القدح في التواتر وإلى القدح في كل القرآن وأنه باطل ، وإذا ثبت ذلك امتنع صيرورته معارضاً بخبر الواحد المنقول عن بعض الصحابة . وثانيها : أن المسلمين أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى وكلام الله تعالى لا يجوز أن يكون لحناً وغلطاً فثبت فساد ما نقل عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما أن فيه لحناً وغلطاً.)[١]

ثم نقل كلام ابن جني الذي ضعّف فيه ما ارتضاه المبرد وابن إسحاق والذي قال ما مختصره ،ان حذف المبتدأ مع الجهل به ضرب من تكليف علم الغيب للمخاطب ، وان الحذف من باب الاختصار والتأكيد من باب الإطناب فالجمع بينهما غير جائز، وانه لا يكون الحذف إلا بعد التحقيق والعلم به ، وانّ جميع النحويين حملوا قول الشاعر:

أم الحليس لعجوز شهربه

على انّ الشاعر ادخل اللام على الخبر ضرورة . فلو جاز ما قاله الزجاج لما عدل عنه النحويون .)[٢]

ثم أجاب الرازي عما ذكره ابن جني فقال:(ويمكن الجواب عن اعتراض ابن جنى بأنه إنما حسن حذف المبتدأ لأن في اللفظ ما يدل عليه وهو قوله : هذان أما لو حذف التأكيد فليس في اللفظ ما يدل عليه فلا جرم كان حذف المبتدأ أولى من حذف التأكيد ، وأما امتناعهم من

[١]) مفاتيح الغيب ١٠ / ٤٢٧ و ينظر: تفسير اللباب لابن عادل ١٩١/١١ و ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم لأبي السعود ٣٦٧/٤

[٢]) مفاتيح الغيب ١٠ /٤٢٩

تأكيد الضمير في قولهم : زيد ضربت نفسه فذاك إنما كان لأن إسناد الفعل إلى المظهر أولى من إسناده إلى المضمر فإذا قال زيد : ضربت نفسه كان قوله نفسه مفعولاً فلا يمكن جعله تأكيداً للضمير فتأكيد المحذوف إنما امتنع ههنا لهذه العلة لا لأن تأكيد المحذوف مطلقاً ممتنع وأما قوله : النحويون حملوا قول الشاعر :

أم الحليس لعجوز شهر به

على أن الشاعر أدخل اللام على الخبر ضرورة فلو جاز ما قاله الزجاج لما عدل عنه النحويون ، فهذا اعتراض في نهاية السقوط لأن ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلاً فما أكثر ما ذهل المتقدم عنه وأدركه المتأخر فهذا تمام الكلام في شرح هذا . الوجه الثالث: في الجواب أن كلمة إن ضعيفة في العمل لأنها تعمل بسبب مشابهة الفعل فوجب كونها ضعيفة في العمل وإذا ضعفت جاز بقاء المبتدأ على إعرابه الأصلي وهو الرفع . الوجه الرابع : في الجواب قال الفراء : هذا أصله ذا زيدت الهاء لأن ذا كلمة منقوصة فكملت بالهاء عند التنبيه وزيدت ألفاً للتثنية فصارت هذا إن فاجتمع ساكنان من جنس واحد فاحتيج إلى حذف واحد ولا يمكن حذف ألف الأصل لأن أصل الكلمة منقوصة فلا تجعل أنقص فحذف ألف التثنية لأن النون يدل عليه فلا جرم لم تعمل إن لأن عملها في ألف التثنية ، وقال آخرون : الألف الباقي إما ألف الأصل أو ألف التثنية . فإن كان الباقي ألف الأصل لم يجز حذفها لأن العامل الخارجي لا يتصرف في ذات الكلمة ، وإن كان الباقي ألف التثنية فلا شك أنهم أنابوها مناب ألف الأصل ، وعوض الأصل أصل لا محالة فهذا الألف أصل فلا يجوز حذفه ويرجع حاصل هذا إلى الجواب الأول . الوجه الخامس : في الجواب حكى الزجاج عن قدماء النحويين أن الهاء ههنا مضمرة والتقدير إنه هذان لساحران ، وهذه الهاء كناية عن الأمر والشأن ، فهذا ما قيل في هذا الموضع ، فأما من خفف فقرأ إن هذان لساحران فهو حسن فإن ما بعد الخفيفة رفع واللام بعدها في الخبر لازمة واجبة وإن كانت في إن الثقيلة جائزة ليظهر الفرق بين إن المؤكدة وإن النافية . قال الشاعر :

وإن مالك للمرتجى إن تضعضعت   رحا الحرب أو دارت على خطوب

وقال آخر :

إن القوم والحي الذي أنا منهم   لأهل مقامات وشاء وجامل

الجامل جمع جمل ، ثم من العرب من يعمل إن ناقصة كما يعملها تامة اعتباراً بكان فإنها تعمل وإن نقصت في قولك : لم يكن لبقاء معنى التأكيد ، وإن زال الشبه اللفظي بالفعل لأن العبرة للمعنى ، وهذه اللغة تدل على أن العبرة في باب الإعمال الشبه المعنوي بالفعل وهو إثبات التوكيد دون الشبه اللفظي كما أن التعويل في باب كان على المعنى دون اللفظ لكونه فعلاً محضاً ، وأما اللغة الظاهرة وهي ترك إعمال إن الخفيفة دالة على أن الشبه اللفظي في إن الثقيلة أحد جزأي العلة في حق عملها وعند الخفة زال الشبه فلم تعمل بخلاف السكون فإنه عامل بمعناه لكونه فعلاً محضاً ولا عبرة للفظه .)[1]

وذكر ابو شامة (ت٦٦٥هـ) في شرح الشاطبية الوجوه التي ذكرناها في الآية واخذ يرد ويرجح ما يراه مناسبا فقال بعد ان ذكر سبعة أوجه : (وخفف حفص وابن كثير إن من قوله سبحانه "قالوا إن هذان لساحران" وهذه قراءة واضحة جيدة غير محوجة إلى تكلف في تأويل رفع هذان بعدها لأن إن إذا خففت جاز أن لا تعمل النصب في الاسم ... ويرتفع ما بعدها على الابتداء والخبر واللام في الخبر هي الفارقة بين المخففة من الثقيلة وبين النافية هذه عبارة البصريين في كل ما جاء من هذا القبيل ، والكوفيون يقولون إن نافية واللام بمعنى إلا ، أي ما هذان إلا ساحران وكذلك البواقي فعالم هذه القراءة دلا أي أخرج دلوه ملأى فاستراح خاطره لحصول غرضه وتمام أمره قال الزجاج روى عن الخليل "إن هذان لساحران" بالتخفيف قال والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل (إن هذان لساحران) ... وقال الفراء الألف من هذا دعامة وليست بلام فعل فلما ثنيته زدت عليها نونا ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول في كل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كذا تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه قلت وإنما اكتفوا بالنون في هذين الضربين لأنها لا تحذف لإضافة ولما كانت النون تحذف من غيرهما للإضافة احتاجوا إلى ألف تبقى دلالة على التثنية ، قال وكنانة تقول ألذون وقال النحاس سألت أبا الحسن بن كيسان عنها فقال سألني عنها إسماعيل بن إسحاق فقلت لما كان يقال هذا في موضع النصب والخفض والرفع على حال واحد وكانت التثنية يجب أن لا يغير لها الواحد أجريت التثنية مجرى الواحد

---

[1]) مفاتيح الغيب ٣٢٩/١٠- ٤٣١ وينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني ٣٨٠/١ ٣٨٣

قلت هذه سبعة أوجه صالحة لتعليل لغة من لا يقلب ألف هذا وهي مفرقة في كتب جماعة من المصنفين يوردونها على أنها وجوه في الاحتجاج لهذه القراءة وليست الحجة إلا في كونها لغة لبعض العرب إذ لو لم يثبت كونها لغة لما ساغ لأحد برأيه أن يفعل ذلك لأجل هذه المعاني أو بعضها فترى بعضهم يقول في تعليل هذه القراءة خمسة أقوال وبعضهم يقول ستة وبعضهم بلغ بها تسعة وليس لها عندي إلا ثلاثة أقوال ذكرنا منها قولا واحدا وهو أنها على لغة هؤلاء القوم ووجهنا هذه اللغة بوجوه سبعة وهذان فيها كلها اسم لأن القول الثاني أن تكون أن بمعنى نعم ، وقد ثبت ذلك في اللغة كأنهم لما (تنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى) ، أفضى بعضهم إلى بعض ذلك فقال المخاطبون نعم ، هو كما تقولون أو قال لهم فرعون وملؤه (هذان ساحران) ، فانظروا كيف تصنعون في إبطال ما جاءا به فقالوا نعم ثم استأنفوا جملة ابتدائية فقالوا "هذان لساحران"

وهذا القول محكي عن جماعة من النحاة المتقدمين قال النحاس وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل ابن إسحاق يذهبان قال ورأيت أبا إسحاق وأبا الحسن علي بن سليمان يذهبان إليه .

قلت وهذا القول يضعفه دخول اللام في خبر المبتدأ فأنشدوا على ذلك أبياتا وقع فيها مثل ذلك واستنبط الزجاج لها تقديرا آخر وهو لهما ساحران فتكون داخلة على مبتدأ ثم حذف للعلم به ، واتصلت اللام بالخبر دلالة على ذلك قال وكنت عرضته على عالمنا محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن يزيد يعني القاضي فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعناه في هذا وقال أبو علي هذا تأويل غير مرتضى عندي إذ يقبح أن يذكر التأكيد ويحذف تفسير المؤكد ، أو شيء من المؤكد،

القول الثالث قال الزجاج والنحويون القدماء ، الهاء ههنا مضمرة ، المعنى "إنـ"ـه هذان لساحران" ، يعني إنه ضمير الشأن والجملة بعده مبتدأ وخبر. وفيه بعد من جهة اللام كما سبق ومن جهة أخرى ، وهي حذف ضمير الشأن فذلك ما يجيء إلا في الشعر. ومنهم من قال ضمير الشأن والقصة موجود وهو أنها ذان فيكون اسم الإشارة خاليا من حرف التنبيه . ولكن هذا يضعفه مخالفة خط المصحف فبان لمجموع ذلك ضعف هذه القراءة فإنها إن حملت على تلك اللغة فهي لغة مهجورة غير فصيحة ، ولأن لغة القرآن خلافها بدليل قوله تعالى (إحدى ابنتي هاتين) ، وجميع ما فيه من ألفاظ التثنية فإنها إنما جاءت على اللغة

الفصيحة التي في الرفع بالألف وبالياء في النصب والجر وإن حملت على أن ، إن بمعنى نعم فهي أيضا لغة قليلة الاستعمال ويلزم منه شذوذ إدخال لام التوكيد في الخبر كما سبق وإن حملت على حذف ضمير الشأن فهو أيضا ضعيف ويضعفه أيضا اللام في الخبر وقراءة هذين بالياء ووجهها ظاهر من جهة اللغة الفصيحة لكنها على مخالفة ظاهر الرسم فليس الأقوى من جهة الرسم واللغة معا إلا القراءة بتخفيف إن ورفع هذان والله المستعان .)[١]

وأوضح القرطبي (ت ٦٧١هـ) وجوه القراءات من دون أن يدلي برأيه فقال :(قوله تعالى : { إن هذان لساحران } قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران ورويت عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين ومن القراء عيسى بن عمر وعاصم الجحدري فيما ذكر النحاس.

وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف وقرأ الزهري و الخليل بن أحمد و المفضل و أبان و ابن محيصن و ابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه { إن هذان } بتخفيف { إن } { لساحران } و ابن كثير يشدد نون { هذان } وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ويكون معناها ما هذان إلا ساحران وقرأ المدنيون والكوفيون { إن هذان } بتشديد { إن } { لساحران } فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب قال النحاس : فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة ... قلت : وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة ستة أقوال ... حتى قال أبو عمرو : إني لأستحي من الله أن أقرأ { إن هذان } : وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قوله تعالى : ... { إن هذان لساحران } فقالت : يا ابن أختي ! هذا خطأ من الكاتب وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : في المصحف لحن وستقيمه العرب بألسنتهم وقال أبان بن عثمان : قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان فقال : لحن وخطأ فقال له قائل : ألا تغيروه ؟ فقال : دعوه فإنه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما.

القول الأول من الأقوال الستة أنها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف ... وقال آخر[٢] :

---

[١]) شرح الشاطبية المسمى : إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ٢٨٢/٢ ـ ٢٨٦

[٢]) نسب البيت لأبي النجم العجلي ونسبه الجوهري لرؤبة بن العجاج

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

أي إن أبا أبيها وغايتيها قال أبو جعفر النحاس : وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته منهم أبو زيد الأنصاري وهو الذي يقول : إذا قال سيبويه حدثني من أثق به فإنما يعنيني و أبو الخطاب الأخفش وهو رئيس من رؤساء اللغة و الكسائي و الفراء كلهم قالوا هذا على لغة بني الحارث بن كعب ...

القول الثاني : أن يكون { إن } بمعنى نعم كما حكى الكسائي عن عاصم قال : العرب تأتي ب { أن } بمعنى نعم وحكى سيبويه أن { إن } تأتي بمعنى أجل .

وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق القاضي يذهبان قال النحاس : ورأيت أبا إسحاق الزجاج وعلي بن سليمان يذهبان إليه الزمخشري : وقد أعجب به أبو إسحاق النحاس... عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي – وهو ابن الحسين – عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين قال : لا أحصي كم سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول على منبره : [إن الحمد لله نحمده ونستعينه] ثم يقول : [أنا أفصح قريش كلها وأفصحها بعدي أبان بن سعيد بن العاص] [١] قال أبو محمد الخفاف قال عمير : إعرابه عند أهل العربية والنحو [إن الحمد لله] بالنصب إلا أن العرب تجعل [إن] في معنى نعم كأنه أراد صلى الله عليه و سلم نعم الحمد لله وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتتح خطبها بنعم وقال الشاعر [٢] في معنى نعم :

قالوا غدرت فقلت إن وربما نال العلا وشفى الغليل الغادر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات [٣] :

بكر العواذل في الصبا ح يلمنني وألومهنّه

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

فعلى هذا جائز أن يكون قول الله عز و جل : { إن هذان لساحران } بمعنى نعم.

القول الثالث قاله الفراء أيضا : وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل فزدت عليها نونا ولم أغيرها كما قلت : { الذي } ثم زدت عليه نونا فقلت : جاءني الذين عندك ورأيت الذين

---

[١]) لم اقف له على سند فيما بين يدي من المصادر الا ما ورد في كتب التفسير

[٢]) البيت لمسعود الاسدي .ينظر: محاضرات الأدباء ٣٥٨/١ و التذكرة الحمدونية ٢٩٨/١

[٣]) ينظر: خزانة الأدب ٢٢٧/١١ .ونسبه بعضهم لابن محرز ، ينظر :الأغاني ٢٩٠/٤

عندك ومررت بالذين عندك . القول الرابع قاله بعض الكوفيين قال : الألف في { هذان } مشبهة بالألف في يفعلان فلم تغير. القول الخامس : قال أبو إسحاق : النحويون القدماء يقولون الهاء هاهنا مضمرة والمعنى : إنه هذان لساحران قال ابن الأنبا ري : فأضمرت الهاء التي هي منصوب { إن } و { هذان } خبر { إن } و { ساحران } يرفعها { هما } المضمر والتقدير إنه هذان لهما ساحران والأشبه عند أصحاب أهل هذا الجواب أن الهاء اسم { إن } و { هذان } رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء .

القول السادس : قال أبو جعفر النحاس وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية فقال : إن شئت أجبتك بجواب النحويين وإن شئت أجبتك بقولي فقلت : بقولك فقال : سألني إسماعيل بن إسحاق عنها فقلت : القول عندي أنه لما كان يقال { هذا } في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة وكانت التثنية يجب ألا يغير لها الواحد أجريت التثنية مجرى الواحدة فقال : ما أحسن هذا لو تقدمك أحد بالقول به حتى يؤنس به قال ابن كيسان : فقلت له : فيقول القاضي به حتى يؤنس به فتبسم.)[١]

ونقل المرادي (ت ٧٤٩هـ) أقوالا في ذلك فقال :(: أن تكون حرف جواب، بمعنى نعم. ذكر ذلك سيبويه، والأخفش. وحمل المبرد، على ذلك، قراءة من قرأ " إن هذان لساحران " . وأنكر أبو عبيدة أن تكون إن بمعنى نعم. ومن شواهدها قول الراد، حين قال القائل: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال: إن وراكبها، أي: نعم ولعن راكبها.

ويبطل كون إن في هذا الكلام هي المؤكدة، من وجهين: أحدهما عطف جملة الدعاء على جملة الخبر. والثاني أنه لم يوجد حذف اسم إن وخبرها في غير هذا الكلام.

قلت: وقد صحح بعض النحويين جواز عطف الطلب على الخبر، وقال: هو مذهب سيبويه.

وأما قول الشاعر:

ويقلن: شيب قد علا ك، وقد كبرت، فقلت: إنه

فيحتمل أن تكون إن فيه بمعنى نعم، كما قال الأخفش. ويحتمل أن تكون المؤكدة والهاء اسمها، والخبر محذوف، كما قال أبو عبيدة. وإذا جعلت بمعنى نعم فالهاء للسكت.)[٢]

---

[١]) الجامع لأحكام القران ١١/١٩٥ ـ ١٩٦

[٢]) الجنى الداني في حروف المعاني ٦٧/١

وإذا ما انتقلنا إلى أبي حيان (ت ٧٥٤هـ) فسنجد عنده التفصيل في ذكر المسالة على غرار ما وجدناه عند الرازي، وهو في كل ذلك يدلي برأيه ويضعف ويختار ويرد مايراه مناسبا من ذلك فخرج قراءة ((انّ هذان لساحران)) بقوله : والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً ... وخرج قراءة (ان هذانّ لساحران) على أن أن هي المخففة من الثقيلة و { هذان } مبتدأ و { لساحران } الخبر واللام للفرق بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة... وهكذا إلى أن انتهى من سرد جميع القراءات الواردة في الاية الكريمة ولم يرجح قراءة على أخرى او رأيا على آخر.[1]

وكذا فعل ابن هشام (ت ٧٦١هـ) في المغني أي انه عرض الآراء وناقشها فضعف وأيد واختار ما رآه مناسبا ولكنه لم يورد الرأي القائل بوجود خطا من الكاتب وإنما اقتصر على المادة النحوية وما يدور حولها. إذ قال :(أن تكون حرف جوابٍ بمعنى نعم، خلافاً لأبي عُبيدة، استدل المثبتون بقوله:

ويقُلن: شيبٌ قد علا ك وقد كبرتَ، فقلتُ: إنَّهْ

ورُدَّ بأنّا لا نسلم أن الهاء للسكت، بل هي ضميرٌ منصوب بها، والخبر محذوف، أي إنه كذلك،

والجيد الاستدلال بقول ابن الزُّبير رضي الله عنه لمن قال له لعن الله ناقةً حملتني إليك: إنّ وراكبَها أي نعم ولعن راكبها؛ إذْ لا يجوز حذف الاسم والخبر جميعاً.

وعن المبرد أنه حمل على ذلك قراءة من قرأ (إنّ هذان لساحران)،

واعتُرض بأمرين: أحدهما: أن مجيء إنّ بمعنى نعم شاذ، حتى قيل: إنه لم يثبت.

والثاني: أن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ، وأجيب عن هذا بأنها لام زائدة، وليست للابتداء، أو بأنها داخلة على مبتدأ محذوف، أي لهما ساحران، أو بأنها دخلت بعد إنّ هذه لشبهها بإنْ المؤكدة لفظاً كما قال:

ورَجِّ الفتى للخير ما إنْ رأيتَهُ على السِّنِّ خيراً لا يزالُ يزيدُ

فزاد إنْ بعد ما المصدرية لشبهها في اللفظ بما النافية.

ويضعف الأول أن زيادةَ اللام في الخبر خاصةٌ بالشعر، والثاني أن الجمع بين لام التوكيد وحذف المبتدأ كالجمع بين متنافيين. وقيل: اسم إنّ ضمير الشأن،

[1]) ينظر: البحر المحيط ٩٢/٨ و البحر المديد لابن عجيبة ٢١/٤

وهذا أيضاً ضعيف، لأن الموضوع لتقوية الكلام لا يُناسبه الحذف، والمسموع من حذفه شاذ إلا في باب أنّ المفتوحة إذا خففت، فاستسهلوه لوروده في كلامٍ بني على التخفيف، فحذف تبعاً لحذف النون، ولأنه لو ذكر لوجب التشديد؛ إذ الضمائر تردُّ الأشياء الى أصولها، ألا ترى أن من يقول: لدُ، ولم يكُ، وواللهِ، يقول: لدُنك، ولم يكنه، وبك لأفعلن، ثم يرِدُ إشكال دخول اللام. وقيل: هذان اسمها، ثم اختلف، فقيل: جاءت على لغة بَلْحارث بن كعب في إجراء المثنّى بالألف دائماً، كقوله:

قد بلغا في المجد غايتاها

واختار هذا الوجه ابن مالكٍ.

وقيل: هذان مَبْنيّ لدلالته على معنى الإشارة، وإن قول الأكثرين هذين جراً ونصباً ليس إعراباً أيضاً، واختاره ابن الحاجب،

قلت: وعلى هذا فقراءة هذان أقْيَسُ؛ إذ الأصل في المبني ألاّ تختلف صيغُه، مع أن فيها مناسبة لألف ساحران ... وقيل: لما اجتمعت ألف هذا وألف التثنية في التقدير قدّر بعضهم سقوط ألف التثنية فلم تقبل ألف هذا التغيير.)[١]

وأبطل السيوطي (ت ٩١١هـ) الرأي القائل أن هناك ضمير القصة وما بعده مبتدأ وخبر فقال:(ومن جاز على لغة من يجري المثنى بالألف في أحواله الثلاث وهي لغة مشهورة لكنانة، وقيل لبني الحارث. الثاني: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، والجملة مبتدأ وخبره خبر إن.

الثالث: كذلك إلا أن ساحران خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: لهما ساحران. الرابع: أن إن هنا بمعنى نعم. الخامس: أن ها قال في – إن هذان لساحران – إنها إن واسمها: أي أن القصة وذان مبتدأ خبره لساحران، والجملة خبر إن، وهو باطل برسم لا منفصلة وهذان متصلة . أما قوله (إن هذان لساحران – ففيه أوجه. أحدها: أنه ضمير القصة اسم إن، وذان لساحران مبتدأ وخبر، وتقدم رد هذا الوجه بانفصال إن واتصال ها في الرسم.

قلت:وظهر لي وجه آخر وهوأن الإتيان بالألف لمناسبة يريدان كما نون سلاسلاً لمناسبة أغلالاً.)[٢]

[١]) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ١٣/١ و ينظر :البرهان في علوم القران للزركشي ٢٢٩/٤

[٢]) الإتقان في علوم القران ١٧٩/١ ، وينظر :الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٩٦/٣ و دور اللهجة في التقعيد النحوي ١ /٤٦

وجاء في التحرير والتنوير لابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ذكر لهذه الآية وما دار حولها من كلام نختتم به بحثنا هذا ، فقد كان يفاضل بين القراءات ويوجه ويحصي وينقل ثم يبين رأيه في المسالة ،لذا فلا عجب من الإطالة في سرد الوجوه والآراء التي قيلت في الآية إذ يقول :

(واعلم أنّ جميع القراء المعتبرين قرأوا بإثبات الألف في اسم الإشارة من قوله «هاذان» ما عدا أبا عمرو من العشرة وما عدا الحسن البصري من الأربعة عشر .

وذلك يوجب اليقين بأن إثبات الألف في لفظ (هذانِ) أكثر تواتراً بقطع النظر عن كيفيّة النطق بكلمة (إنّ) مشدّدة أو مخفّفة ، وأن أكثر مشهور القراءات المتواترة قرأوا بتشديد نون (إنّ) ما عدا ابنَ كثير وحفصاً عن عاصم فهما قرءَا (إنْ) بسكون النون على أنها مخففة من الثقيلة .

وإن المصحف الإمام ما رسمُوه إلاّ اتّباعاً لأشهر القراءات المسموعة المروية من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقرّاء أصحابه ، فإن حفظ القرآن في صدور القرّاء أقدم من كتابته في المصاحف ، وما كتب في أصول المصاحف إلاّ من حفظ الكاتِبين ،

وما كُتب المصحف الإمام إلا من مجموع محفوظ الحُفاظ وما كتبه كتاب الوحي في مدة نزول الوحي .فأما قراءة الجمهور { إنّ هذان لساحران بتشديد نون (إنّ) وبالألف في هذان وكذلك في لساحران ، فللمفسرين في توجيهها آراء بلغت الستّة . وأظهرها أن تكون (إنّ) حرف جواب مثل : نعم وأجَل ، وهو استعمال من استعمالات (إنّ) أي أجل أو نعم ، والهاء في البيت هاءُ السّكْتتِ ، وقول عبد الله بن الزُبير لأعرابي استجداه فلم يعطه ، فقال الأعرابي : لعَن الله ناقة حملتني إليك . قال ابن الزّبير : إنّ وراكِبَها .

وهذا التوجيه من مبتكرات أبي إسحاق الزجاج ذكره في تفسيره } . وقال : عرضته على عالمينا وشيْخينا وأستاذيْنا محمد بن يزيد (يعني المبرد) ، وإسماعيل بن إسحاق بن حمّاد (يعني القاضي الشهير) فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا .

وقلت : لقد صدقا وحقّقا ، وما أورده ابن جنّي عليه من الرد فيه نظر .

وفي «التفسير الوجيز» للواحدي سأل إسماعيل القاضي (هو ابن إسحاق بن حمّاد) ابنَ كيسان عن هذه المسألة ، فقال ابنُ كيسان : لما لم يظهر في المبهم إعرابٌ في الواحد ولا في الجمع (أي في قولهم هذا وهؤلاء إذ هما مبنيان) جرت التثنية مجرى الواحد إذ التثنية

يجب أن لا تغيّر . فقال له إسماعيل : ما أحسن هذا لو تقدمك أحد بالقول فيه حتى يُؤْنس به فقال له ابنُ كيسان : فليقل به القاضي حتى يؤنس به ، فتبسم .

وعلى هذا التوجيه يكون قوله تعالى : { إنّ هَذانِ لسَاحِرانِ } حكايةً لمقال فريق من المتنازعين ، وهو الفريق الذي قبِل هذا الرأي لأنّ حرف الجواب يقتضي كلاماً سبقه .

ودخلت اللاّم على الخبر : إما على تقدير كون الخبر جملة حذف مبتدأها وهو مدخول اللام في التقدير ، ووجودُ اللاّم ينبىء بأن الجملة التي وقعت خبراً عن اسم الإشارة جملة قسميّة؛ وإما على رأي من يجيز دخول اللام على خبر المبتدأ في غير الضرورة .

ووجهت هذه القراءة أيضاً بجعل (إنّ) حرف توكيد وإعراب اسمها المثنّى جَرى على لغة كنانة وبِلْحارث بن كعب الذين يجعلون علامة إعراب المثنى الألفَ في أحوال الإعراب كلها ، وهي لغة مشهورة في الأدب العربي ولها شواهد كثيرة منها قول المتلمّس :

فأطرقَ إطراقَ الشُجاع ولو درى مساغاً لِنَأْبَاهُ الشجاعُ لصمّما

وقرأه حفص بكسر الهمزة وتخفيف نون (إنْ) مسكنة على أنها مخففة (إنّ) المشددة . ووجه ذلك أن يكون اسم (إنْ) المخففة ضمير شأن محذوفاً على المشهور . وتكون اللاّم في { لساحران } اللاّم الفارقة بين (إنْ) المخففة وبين (إن) النافية .

وقرأ ابن كثير بسكون نون (إنْ) على أنها مخففة من الثقيلة وبإثبات الألف في «هذان» وبتشديد نون (هاذانّ) .وأما قراءة أبي عمرو وحده { إنَّ هذَيْن بتشديد نون (إنّ) وبالياء بعد ذال هذين . فقال القرطبي : هي مخالفة للمصحف . وأقول : ذلك لا يطعن فيها لأنّها رواية صحيحة ووافقت وجهاً مقبولاً في العربيّة . ونزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متحدة المقصود . فلا التفات إلى ما روي من ادعاء أن كتابة إن هاذان خطأ من كاتب المصحف ، وروايتِهم ذلك عن أبانَ بن عثمان بن عفّان عن أبيه ، وعن عروة بن الزبير عن عائشة ، وليس في ذلك سند صحيح .

حسبوا أنّ المسلمين أخذوا قراءة القرآن من المصاحف وهذا تغفّل ، فإن المصحف ما كتب إلاّ بعد أن قرأ المسلمون القرآن نيّفاً وعشرين سنة في أقطار الإسلام ، وما كتبت المصاحف إلاّ من حفظ الحفّاظ ، وما أخذ المسلمون القرآن إلاّ من أفواه حُفّاظه قبل أن تكتب المصاحف ، وبعد ذلك إلى اليوم فلو كان في بعضها خطأ في الخطّ لما تبعه القراء ، ولكان

بمنزلة ما تُرك من الألفات في كلمات كثيرة وبمنزلة كتابة ألف الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والرّبا بالواو في موضع الألف وما قرأوها إلاّ بألِفاتها .)[١]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين.

بعد هذه الجولة في رحاب آية من القران الكريم نستخلص ما يأتي:

١-إن دراسة ظاهرة نحوية في آية من كتاب الله تعالى لم تقتصر على كتب النحو او البلاغة أو التفسير أو المعاجم ،بل شملت ذلك كله.

٢-إن اظهر ما يمكن أن تحمل عليه الآية التي تناولناها في هذا البحث أنها وردت على لغة من لغات العرب وهي لغة بلحارث بن كعب وكنانة وغيرهما. لأن حمل القران الكريم على ما اعتلّ من اللغات والعدول به عن أفصحها وأصحها كان السبب في مساندتنا كون الآية جاءت على لغة مشهورة من لغات العرب.

٣-إن فتح باب التخطئة الكتابية في القران وإسناد تقويمها إلى لسان العرب يخالف قول الله تعالى ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)).

٤-إن جميع من ناقش الآية القرآنية وليس من عرضها قطع بضعف الرأي القائل بوجود خطأ كتابي في الآية وهو ما نسب لعائشة وعثمان (رض) فضلا على أن هذه الرواية لم تثبت في كتب السنة ولم أقف لها على تخريج إلا ما ورد في كتب التفسير التي اعتمدت في البحث وفي بعض الكتب التي تتحدث عن السنن في الأقوال والأفعال وهي كتب لا يمكن الاعتماد عليها في توثيق حديث أو سنده لذا رجحنا ما رجحناه في البحث كي لا نجانب الصواب فيه .

٥-إن إثبات الزيادة أو النقصان في القران بطريق الآحاد لا يمكّننا من القطع بان الذي بين أيدينا هو كل القران ،فيخرج بذلك كونه حجة،لذا كان هذا القول باطلا ،وأما الطعن بالقراءة نفسها فهو أسوأ مما تقدم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[١]) التحرير والتنوير ٦٣/٩ – ٦٥ و ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ٦٩٨/٢

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي (ت٥٩٠هـ) ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بـ (أبي شامة)(٦٦٥هـ).
- الإتقان في علوم القران : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٨م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم : محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هـ).دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، (د،ت).
- إعراب القران المنسوب إلى أبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) :تحقيق :إبراهيم الابياري،بيروت/ط٣، ١٩٨٨م.
- البحر المحيط : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) مطبعة السعادة / مصر /١٣٢٨هـ .
- البحر المديد: احمد بن محمد المصري الحسني الانجري ابن عجيبة(١١٦٠ هـ)
- البرهان في علوم القران : أبو عبد الله محمد بن بهادر بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .دار إحياء الكتب العربية ١٩٧٥م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (١٢٩٦--١٣٩٣هـ)
- تفسير اللباب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٦٧٥ – ٨٨٠هـ) .
- جامع البيان عن تأويل آي القران: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت٣١٠هـ) بيروت ،ط٢ ،١٩٧٢م.
- الجامع لأحكام القران : محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ) تحقيق: احمد عبد العليم البرد وني دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) تحقيق: طه محسن،الموصل،١٩٧٠م.
- الحماسة البصرية :صدر الدين علي بن الحسن البصري / عالم الكتب ،بيروت ١٤٠٣– ١٩٨٣ تحقيق: مختار الدين احمد.

- خزانة الأدب وغاية الإرب :تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الازراري (ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق: عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال ،بيروت ،ط١، ١٩٨٧م.
- الخصائص :أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق : محمد علي النجار ،بيروت ،ط٢ ،(د،ت) .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.

- دور اللهجة في التقعيد النحوي: دراسة إحصائية تحليلية في ضوء همع الهوامع للسيوطي .للدكتور : علاء إسماعيل الحمزاوي/أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب جامعة المينا.
- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني ،تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين ،القاهرة،١٩٥٤م.
- العين : الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: عبد الله درويش ،مطبعة العاني ،بغداد /١٩٦٧م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ،بيروت، (د،ت) .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال :علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤١٩ –١٩٩٨ .ط١ /تحقيق: محمد عمر الامياطي.
- مجاز القران : معمر بن المثنى أبو عبيدة (ت٢٠٨هـ)، تحقيق : فؤاد سزكين ، بيروت ، ط١ /١٩٧٠م.
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء :ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهاني .دار القلم ،بيروت ١٤٢٠–١٩٩٩ تحقيق: عمر الطباع.
- المحرر الوجيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (٤٨١ -- ٥٤١هـ)

- مشكل إعراب القران : مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) . تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن ،بيروت ،ط٤ ، ١٩٨٨م.
- معالم التنزيل : الحسين بن مسعود الفداء البغوي أبو محمد (ت ٥١٦هـ)، تحقيق : خالد العك و مروان سوار ، دار المعرفة بيروت ط٢ /١٩٨٧م.
- معاني القران :أبو الحسن الاخفش (ت ٢١٧هـ) ،تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد ، بغداد / ١٩٧٨م.
- معجم مقاييس اللغة: ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا .دار الجيل ،بيروت ،لبنان ١٤٢٠ – ١٩٩٩ ط٢/تحقيق : عبد السلام محمد هارون
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري(ت٧٦٢هـ) ،تحقيق: الدكتور مازن المبارك،و محمد علي حمد الله،دار الفكر ،بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٥م
- مفاتيح الغيب :ويسمى :التفسير الكبير ، فخر الدين الدين الرازي (ت٦٠٦هـ). مصر ،(د،ت) .
- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق: عبد الخالق عضيمة ، القاهرة /١٣٨٨هـ.
- المواقف :عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي .دار الجيل /لبنان ١٤١٧.ط١/ تحقيق:عبد الرحمن عميرة.
- النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بـ (الماوردي) (ت ٣٦٤ – ٤٥٠ هـ).
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:علي بن احمد الواحدي أبو الحسين (ت٤٦٨هـ).دار القلم الدار الشامية دمشق بيروت ط١ /١٤١٥ تحقيق:صفوان عدنان داوودي.